﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت: 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ خُلُقٍ آخرَ مِن أخلاق الإنسان

بعد أن بيَّنتِ الآيةُ السّابقةُ أنَّ طَبْعَ الإنسانِ بصفةٍ عامَّة والكفار بصفة خاصَّة أنَّه متبدِّلُ الحال متغيِّرُ المنهج، فإن أحسَّ بخير؛ انتفخ، وتعظَّم، وإن أحسَّ ببلاء؛ ذبل، ويأس؛ ناسب أن تبيِّن هذه الآية خُلُقًا آخَرَ فيه، وهو أنَّهُ إذا زالَ عَنْهُ كَرْبُهُ، وعادَتْ إلَيْهِ النِّعْمَةُ؛ نَسيَ ما كانَ فيهِ مِنَ الشِّدَّةِ، ولَمْ يَتَفَكَّرْ في لُطْفِ اللهِ بِهِ، فبَطِرَ النِّعْمَةَ[1]، وأنكر الحساب، وتدلَّل على الله بمكانته ومنزلته في الدُّنيا.

تأكيدُ جهلِ الإنسانِ وغلبةِ الأفكارِ الرَّديئة على عقلِهِ

ويُمكن أن يُقال في وجه المناسبة: "لمّا دلَّ ما سبق على عظيم جهل الإنسان، وغلبةِ الأفكار الرَّديئة على عقله؛ أتبعه - تأكيدًا لذلك - ما يدلُّ على أنَّ حالَهُ بعد هذا اليأس الذي قطع فيه بلزوم الشَّرِّ وامتناع حصول الخير، أنَّه لو عاودته النِّعمة بغتة من وجه لا يرجوه، وليس له دليلٌ ما على دوامها وانصرامها؛ لعاد إلى البطر والكِبر والأشر، ونسي ما كان فيه من الشِّدَّة"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾: (ذوق) أصلٌ واحِدٌ، وهو اختِبارُ الشَّيءِ مِن جِهَةِ تَطَعُّمٍ، ثُمَّ يُشتَقُّ مِنهُ، فيُقالُ: ذُقْتُ المَأكولَ أذوقُهُ ذَوقًا، وذُقتُ ما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 11.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 217.

عِندَ فُلانٍ: اختَبَرتُهُ[1]، فالذّوق: وجود الطَّعم بالفم، وأصلُه فيما يقلُّ تناولُهُ دون ما يكثر؛ لأنَّ ما يكثر منه يقال له: الأكلُ[2]، والذَّوق: مباشرة الحاسَّة الظّاهرة أو الباطنة، ولا يختصُّ ذلك بحاسَّة الفمِ في لغةِ القرآن، ولا في لغةِ العرب، قال تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: 50]، وقال: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧﴾ [ص: 57]، وقال: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل: 112]، فقد جمعَ الذَّوق واللِّباس؛ ليدلَّ على مباشرة الذَّوق وإحاطته وشموله[3].

2) ﴿ضَرَّآءَ﴾: (ضرر) ثَلاثَةُ أُصولٍ: أحدُها: خِلاف النَّفْعِ، يُقالُ: ضَرَّهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا، ثُمَّ يُحْمَلُ على هَذا كُلُّ ما جانَسَهُ، أو قارَبَهُ[4]، والضُّرُّ: سوءُ الحال، إمّا في نفسه لقلَّة العلم والفضل والعفَّة، وإمّا في بدنهِ لعدم جارحة ونقص، وإمّا في حالة ظاهرة من قلَّة مال وجاه، وقوله: ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ﴾ [الأنبياء: 84] محتملٌ لثلاثتها، والضَّرّاءُ يُقابل بالسَّرّاء، والضُّرُّ بالنَّفع، قال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ﴾ [هود: 10][5].

3) ﴿قَآئِمَةٗ﴾: (قوم) أصلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أحَدُهُما على انتِصابٍ أو عَزْمٍ، يُقال: قامَ قيامًا؛ إذا انتَصَبَ، والقيامَةُ أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دُفْعَةً واحدة، أُدخل فيها الهاءُ تنبيهًا على وقوعها دُفْعَة وفجأة، والقيامَةُ: قيام السّاعة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الروم: 12]، وقوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: 6]، وقوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ [الكهف: 36][6].

4) ﴿لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: (حسن) أصلٌ واحِدٌ، ضِدُّ القُبْحِ، يُقالُ: رَجُلٌ حَسَنٌ وامرَأةٌ حَسناءُ وحُسّانَةٌ[7]، والحُسنُ: عبارةٌ عن كلِّ مبهجٍ مرغوبٍ فيه[8]، ومعناه المحوريُّ: نَقاءُ الشَّيء ورقَّته بخروج الخَشن أو الغليظ الَّذي يخالطه، فيَشوبُ رِقَّتَهُ، والحسنى هي: التي تَفْضُل

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (ذوق).
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 24.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضرَّ).
(5) الراغب، مفردات القرآن: (ضرَّ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم)، والراغب، مفردات القرآن: (قوم).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسن)، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (حسن).
(8) الراغب، مفردات القرآن: (حسن).

سواها في الحُسن، أطلقَتْ على الجنَّة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26]، وعلى كلِّ ما فاق في الحسن، كقوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: 137]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: 180][1].

5) ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾: (نبأ) قياسُهُ: الإتيانُ من مَكانٍ إلى مَكانٍ، يُقالُ لِلَّذي يَنْبَأُ من أرْضٍ إلى أرْضٍ: نابِئٌ، وسَيْلٌ نابِئٌ: أتَى من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، ومِنْ هَذا القياسِ النَّبَأُ: الخَبَرُ؛ لأنَّهُ يَأْتي من مَكانٍ إلى مَكانٍ[2]، والنَّبَأُ: خبرٌ ذو فائدة عظيمةٍ يحصل به علمٌ أو غَلَبَة ظنٍّ، ولا يقال للخبر: نَبَأٌ، حتى يتضمَّنَ هذه الأشياء الثَّلاثة، وحقُّ الخبر الذي يُقال فيه: نَبَأٌ، أن يتعرّى عن الكذب، كالتَّواتر وخبر اللّه تعالى وخبر النَّبيِّ ﷺ[3].

6) ﴿غَلِيظٖ﴾: الغِلْظَةُ ضدُّ الرِّقَّة، يقال: غِلْظَةٌ وغُلْظَةٌ، وأصلُهُ أن يُستعمل في الأجسام، لكن قد يُستعار للمعاني كالكبير والكثير، قال تعالى: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [التوبة: 123]، أي: خشونة، وقال: ﴿ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾ [لقمان: 24]، وقال أيضًا: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: 73][4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تبيِّن الآيَةُ الكريمة أنَّ هَذا الَّذي صارَ آيسًا قانطًا لَو عاودَتْهُ النِّعْمَةُ والدَّوْلَةُ[5]، وزالَ عَنْهُ كَرْبُهُ؛ لنَسيَ ما كانَ فيه مِنَ الشِّدَّة، ولَم يَتَفَكَّرْ في لُطْفِ اللّه بِهِ، ولَبَطِرَ النِّعْمَةَ، وقالَ: قَدِ استَرْجَعْتُ خَيراتي بِحيلَتي وتَدبيري، وهَذا الخَيرُ حَقٌّ لي، حَصُلْتُ عَلَيهِ، ثُمَّ إذا كانَ مِن أهلِ

لا جزاءَ للاغترارِ بِنعمِ الله تعالى إلّا العذابُ الغليظ يومَ القيامة

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حسن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ)، وابن منظور، لسان العرب: (نبأ).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (نبأ).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (غلظ)، وابن منظور، لسان العرب: (غلظ).
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 316.

الشِّرْكِ؛ تَراهُ إذا سَمِعَ إنذار النَّبيِّ بِقيام السّاعَةِ، أو هَجَسَ في نَفسِهِ هاجِسُ عاقِبَةِ هَذِهِ الحَياةِ؛ قالَ لِمَن يَدعوهُ إلى العَمَلِ ليَومِ الحِسابِ، أو قالَ في نَفسِهِ: ما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً، ولَئِنْ فرَضْتُ قيامَ السّاعَةِ على احْتِمالٍ ضَعيفٍ، فإنّي سَأجِدُ عِنْدَ اللّه المُعامَلَةَ بِالحُسْنَى؛ لأنّي مِن أهلِ الثَّراءِ والرَّفاهيةِ في الدُّنْيا، فكَذلِكَ سَأكونُ يَوْمَ القيامَةِ[1]، كما توضِّح الآيةُ أنَّ اللّه تعالى سيخبر هؤلاء الكفار المغرورين بكلِّ أعمالهم يوم القيامة، وسيُذيقُهم عليها العذابَ الغليظَ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصل في الآية:

الواو في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، عَبَّر بها النَّظم لبيان حال ذلك الإنسان - الَّذي كان آيسًا قانطًا - عندما تعاودُهُ النِّعمة، ويزول ما نزل به من شرٍّ، ويذيقُه اللّه تعالى شيئًا من رحمته.

معنى اللام في ﴿وَلَئِنْ﴾:

قسمُ الله علامةٌ على غضبِهِ وعدم رضاه عمَّن يجحد نعمَهُ، أو يَغْتَرُّ بها

اللّام في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾ هي الموطِّئة للقسم على أنَّ حالَ ذلك الإنسان عندما تعاودُه النِّعمة، ويتذوَّق شيئًا من لذّاتها هو الاغترار والجحودُ وإنكارُ فضل اللّه في اختصاصِهِ بها، ونسبةُ التَّسبُّب فيها إلى نفسه، ولا يخفى أنَّ قسمَ اللّه تعالى علامةٌ على غضبِه وعدمِ رضاه عمَّن يفعلُ ذلك.

دلالةُ (إنْ) الشرطيَّة:

مَنْحُ الآيسِ القانطِ فرصةً ثانيةً ليس أمرًا مُسَلَّمًا به

التَّعبيرُ بحرف الشَّكِّ: (إنْ) أداةً للشَّرط في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾، فيه دلالةٌ على أنَّ معاودة التَّفضُّل على الإنسان بالنِّعمة بعد يأسه وقُنوطه قد يحصلُ مِن "جهةٍ لا يرجوها على سبيل الاختبار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 11، 12.

والبغتة"[1]، فليس منحُ الآيسِ القانطِ فرصةً ثانيةً أمرًا مُسَلَّمًا به، ولكنَّه راجعٌ لمشيئة الله تعالى وإرادته.

بلاغةُ جملةِ الشَّرط:

في تعبير النَّظم بأسلوب الشَّرط - عمّا يحصُل من الإنسان الَّذي أصابه اليأسُ والقنوط عندما تعاوده النِّعمة - نوعٌ من الإثارة والتَّشويق إلى الفعل وجوابِه؛ تحذيرًا للنّاس بصفة عامَّة، وللمشركين بصفة خاصَّة من أن يكونوا من هذا النّوع الجاحدِ نِعَمَ الله تعالى، المغرورِ بها.

وجهُ التَّعبيرِ بفعل الإذاقة ماضيًا:

قولُه: ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾ جملةٌ في محلِّ جزم فعل الشَّرط، وهي مكوَّنة من الفعل: (أذاقَ)، والفاعل: ضميرُ المتكلِّم العائد إلى الله: (نا)، والمفعول الأوَّل هاء الغائب العائد إلى الإنسان، وفيها عبَّر النَّظم بفعل الإذاقة الَّذي يُستَعمَل فيما يقلُّ تناوله[2]؛ للدَّلالة على قِصَر مدَّة النِّعمة، وعدم القطع بدوامها، يقوّيه التَّعبير بالماضي المؤكِّد سرعة الانتهاء، وقلَّة مدَّة البقاء، وفيه دليلٌ على اتِّصاف الإنسان بالغرور والجحود، مع عدم وجودِ برهانٍ لديه على بقاءِ النِّعمةِ، وعدمِ انصرامِها[3].

الإنسانُ الجاحدُ يصيبُه الغرورُ مع عدم تَيَقُّنه من دوام النِّعم واستمرارها

نكتةُ التَّعبيرِ عن فعل الإذاقةِ بصيغة التَّعظيم:

أسنَد البيانُ القرآنيُّ فِعلَ الإذاقة إلى ضمير الحقِّ سبحانه بصيغة التَّعظيم في قوله: ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾؛ تنبيهًا على أنَّ ذلك من جليل تدبير الله وعظيم تقديره[4]، وأنَّه لا يحدث خبطَ عشواء، وإنَّما يحدث لحكمةٍ وفائدةٍ يريدُها المولى ﷻ.

إذاقةُ النّاسِ النِّعمَ من جليل تدبير الله وعظيم تقديره

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 217، 218.
(2) الراغب، مفردات القرآن: (ذوق).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 217.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 218.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿رَحْمَةَ﴾ نكرةً:

نِعمُ اللهِ تعالى مِن آثار رحمته بخلقه

عبَّر النَّظمُ الكريم عن النِّعمة بلفظ: ﴿رَحْمَةَ﴾، تعظيمًا للنِّعمة، وإكرامًا للإنسان الذي اختصَّه اللهُ بها، ببيان أنَّها مِن آثار رحمةِ اللهِ تعالى به[1]، وجيءَ بها نكرةً لِما يفيده التَّنكيرُ من عموم الرَّحمة وشمولها كلَّ أنواع النِّعم، كالصِّحَّة بعد المرض، أو الغنى بعد الفقر، أو السَّعة بعد الضيق، و غير ذلك[2].

بلاغةُ المجاز في جملة: ﴿أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً﴾:

إبـــرازُ غـفـلـةِ الإنـسـان وبـيانُ انـــشـــغـــالِـــه بـالـنِّـعـمـة عـن شـكـر المُـنْـعِـم المُتَفَضِّل

في قوله تعالى: ﴿أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ، شُبِّهت فيها الرَّحمةُ وهي أمرٌ معنويٌّ بالحلوى التي يتلذَّذُ الإنسانُ بتذوُّقها، ثم حذف المشبَّه به، ورُمز إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو فعل الإذاقةِ على سبيل الاستعارة المكنيَّة الَّتي تُبرز غفلةَ الإنسان، وتبيِّن انشغالَهُ بالنِّعمة، والتَّلهّي بها عن شكرِ المُنعم، الَّذي تفضَّل بها عليه.

فائدةُ التَّعبير بشبه الجملة: ﴿مِّنَّا﴾:

كـلُّ النِّـعـم مِـن عند الله ابتداءً، وإنْ حصلَتْ مِن جهةٍ لا يتوقَّعُها الإنسانُ

(مِنْ) في قوله: ﴿مِّنَّا﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الابتداء، والضَّمير المجرور فيه يعود إلى المنعم سبحانه، والتَّعبير بهما يدلُّ على أنَّ كلَّ النِّعم مصدرُها اللهُ ﷻ، ويؤكِّد أنَّه هو الَّذي يذيقُها للإنسان، حتّى وإن حصلت من جهةٍ لا يرجوها النّاسُ، ولا يتوقَّعونها.

دلالةُ التَّعبير بالجار والمجرور في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾:

لا بدَّ للإنسان أن يُختَبَرَ بالعقاب والإكـــرام وما بينهما

التَّعبيرُ بحرف الجرِّ والظَّرف المجرور في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ يدلُّ على انفصال النِّعمة الَّتي أذاقها الله للإنسان عن الضُّرِّ الذي مسَّه، مع قرب زمانها منه؛ ليكونَ قد جُمع له مباشرةُ الأحوال الثَّلاثة: العقاب، والإكرام، وما بينهما من الوسط الَّذي بين حالتي الرِّضا والسُّخط[3].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 315، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 218.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 205، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 5.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 218.

توجيهُ التَّعبير بلفظ: ﴿ضَرَّآءَ﴾ مادَّة وصيغةً:

ليس في طاقة الإنسان أن يتخلَّص من المِحَن والابتلاءات إلّا بعون الله

التَّعبيرُ بلفظ: ﴿ضَرَّآءَ﴾ الموضوع لخلاف النَّفع يدلُّ - بمعناه ومبناه المشتمل على حرف المدِّ في وسطه - على إصابته بمحنة كبيرة وشدَّةٍ عظيمة[1]، لم يكن في طاقتِهِ أن يتخلَّص منها؛ لولا عونُ اللّه ورحمتُه، يقوّيه التَّعبيرُ به نكرةً دالَّةً على التَّعظيم.

سرُّ إيثارِ التَّعبير بفعل المسِّ ماضيًا:

الابتلاءُ بالضَّرّاء لا يدوم طويلًا

قولُه تعالى: ﴿مَسَّتْهُ﴾ جملةٌ في محلِّ جرٍّ صفة لـ ﴿ضَرَّآءَ﴾، وأوثِرَ التَّعبيرُ فيها بفعل المسِّ ماضيًا؛ للدَّلالة على قِصَر المدَّة الَّتي ابْتُلي فيها الإنسانُ بالضَّرّاء التي أصابته، وبها يتجلَّى لطفُ اللّه تعالى به، وإنعامُه عليه، ورحمتُه له.

معنى اللّام في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾:

الإنسانُ الجاحدُ جازمٌ بما يفتريه معتقدٌ له تمام الاعتقاد

اللام في: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هي المُؤكِّدة الداخلةُ على جواب القسم، الذي قام مقام جواب الشَّرط لتقَدُّم القسمِ على الشَّرط، والتَّعبيرُ باللّام المؤكِّدة فيه دلالةٌ على أنَّ هذا الجاحدَ جازمٌ بما يقول، معتقدٌ له تمام الاعتقادِ.

دلالةُ فعل القول المضارع:

الجاحدُ يتجدَّدُ جُحودُه كلَّما أذاقه اللهُ تعالى نعمةً من نعمه

أوثِرَ التَّعبيرُ بفعل القول مضارعًا في جملة: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾؛ لدلالتِهِ على تجدُّد صدور هذا القول و أمثاله من الإنسان، كلَّما أذاقه اللّه تعالى نعمةً من نعمه، الَّتي لا تُحصى، ولا تُعدُّ، يُزاد على ذلك ما يفيده التَّعبيرُ بالمضارع من استحضار الصّورة المُتحدَّث عنها في ذهن كلِّ واحدٍ من المُتلَقّين، لينظرَ في نفسِهِ إن كان كذلك، أو غيرَ ذلك.

بلاغةُ التَّوكيدات في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾:

جاء جوابُ القسم: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ مشتملًا على اللّام في أوَّل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 218.

المضارع، ونون التَّوكيد الثَّقيلة في آخره، ولام الاستحقاق في ﴿لِي﴾؛ للإبلاغ في التَّأكيد والجزم بأنَّ مَنْ كان مِنَ المسارعين في اليأس والقنوط لن يتردَّد في نسبة النِّعم إلى نفسه، ولا يُشَكُّ في أنَّه يَنْسى فضلَ الله عليه، "بمجرَّد ذوقه تلك الرَّحمة، على أنَّها ربَّما كانت بلاءً عظيمًا؛ لكونها استدراجًا إلى الهلاك"[1].

مَنْ يسرع في اليأس والقنوط؛ لن يتردَّد في نسبة النِّعم إلى نفسِه

فائدةُ التَّعبيرِ باسم الإشارةِ للقريب ﴿هَذَا﴾:

التَّعبيرُ باسم الإشارة الموضوعِ للقريب: ﴿هَذَا﴾، والعائدِ إلى النِّعمة الَّتي أذاقها الله للإنسان بعد الضَّرّاء الَّتي مسَّتْه، فيه دلالةٌ على تعظيمِهِ لها، ولهفته عليها، وحبِّه الجارف لتملُّكها وبقائها بحوزته، حتى لا تذهبَ إلى أحدٍ غيرِه.

حبُّ الإنسانِ للنِّعم سببٌ في تعظيمِه لها وحرصِه على حَوْزها

معنى اللّام في ﴿لِي﴾ ومرجع الضَّمير فيه:

اللامُ في قولِه: ﴿لِي﴾ هي لام الاستحقاقِ أو الاختصاص، وضمير المتكلِّم فيه يعود للإنسان المُنْعَم عليه، وفي التَّعبير بهما دلالةٌ على أنَّ ذلك الإنسان يرى أنَّ النِّعمة الَّتي ذاقها هي "حقُّه وصل إليه؛ لأنَّه استوجبه بما عنده من خيرٍ وفضلٍ وأعمال برٍّ"[2]، والمعنى: "هذا مختصٌّ بي؛ لما لي من الفضل، لا مشاركةَ لأحدٍ معي فيه، مع أنَّه ثابتٌ لا يتغيَّر انتقالًا من حالة اليأس إلى حالة الأمن والبطر والكِبر والأشر، على قُرب الزَّمن من ذوقِ المِحن، وينسى أنَّها من فضل الله ليقيِّدها بشكرها، ويطردها بكفرها"[3].

الإنسانُ يفسِّر الإنعامَ عليه بأنَّه دليلُ حبِّ اللهِ له وبرهانُ رضاه عنه

التَّعبيرُ بقوله: ﴿هَذَا لِي﴾ يرسمُ أمام القارئِ والمتلقّي صورةً تخييلية لذلك الإنسان، وقد أحاط النِّعمة بذراعيه، وضمَّها إلى صدره، وأخذ يوجِّه كلامَهُ إلى المحيطين به، الحاضرين هذا المشهد،

في التَّعبير تصويرٌ لمشهد الاختصاص بالنِّعمة المستلزم الحفاظ عليها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 218.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 205 بتصرف.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 218.

قائلًا: هذا لي، هذا لي؛ ليرسَخَ في عقولهم أنَّه ذو فكر نابه، وعقل نابغ، ورأي سديد، وأنَّ ذلك كلَّهُ كان وراء حوزه لهذه النِّعمة، أو أنَّها منحةٌ خاصَّةٌ له، يجبُ عليه أن يحرصَ عليها، وألّا يُفرِّطَ فيها.

توجيهُ العطف بالواو:

كـلامُ الإنسـان عـن استحقاقِهِ الـنِّـعـم يـأتي مصحوبًا بطول الأمـل وإنـكـار السّاعة

الواو في جملة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾؛ لعطف ما بعدها على قوله: ﴿هَٰذَا لِي﴾؛ إذ هي مِنَ الكلام الذي يقولُه الإنسانُ عندما يذيقُه اللهُ من رحمته، وفي عطفِها بالواو التي تُفيد المُصاحبةَ دلالةٌ على أنَّ كلامَهُ عن استحقاقِهِ تلك النِّعمة يأتي مصحوبًا بطول الأمل وإنكار السّاعة، ورفْضِ ما فيها من بعْثٍ وحساب، "سواء عبَّر عن ذلك بلسان قالِهِ، أو بلسان حالِهِ؛ لكونِهِ يفعل أفعال الشّاكِّ فيها، كما كان قطع الرَّجاء مِنَ الخيرِ عند مباشرتِهِ للشَّرِّ، لكنَّه هنا قال على سبيل التَّقدير والفرض لدفعِ مَنْ يعظُهُ؛ مُحَقِّقًا لدوام نعمتِهِ"[1].

نكتةُ النَّفي بـ(ما):

الإنسانُ المخدوعُ بـكـثرة الـنِّـعـم يـنـفـي قـيـام الـسّـاعـة نفيًا قاطعًا لا حُدودَ له

(ما) في جملة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ هي النّافيةُ العاملةُ عملَ ليس، أوثِرَ النَّفي بها؛ لأنَّ مِن خصائصِها نفيَ الجُمل الاسميَّة والفعليَّة، وهي آكدُ في النَّفي من (ليس)، وأوسع استعمالًا منها، كما سبق بيانه، والنَّفي بـ (ما) أنسبُ هنا؛ لأنَّها تدلُّ - بمعناها ومبناها المختوم بألف المدِّ - على أنَّ ذلك المغرورَ بكثرة النِّعم ينكر قيامَ السّاعة، وينفي ما فيها مِن بعثٍ وحسابٍ وعقابٍ نفيًا قاطعًا لا شكَّ فيه.

سرُّ التَّعبيرِ بفعل الظَّنِّ مُضارِعًا:

عـنـدمـا يـغـترُّ الإنسانُ بالنِّعم لا يستجيب لِمَن يذكِّرُه بالآخرةِ أيًّا كان

آثرَ البيانُ التَّعبيرَ عن رؤية هذا الإنسانِ لقيام السّاعة بفعل الظَّنِّ - الدّال على تَيَقُّنِهِ ممّا يقولُ، وعدم شكِّه فيه - مضارعًا في قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ﴾؛ للدَّلالة على تجدُّد ظنِّه واستمرار اعتقاده عدمَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 218.

قيام السّاعة، مهما جزم بها غيرُه، أو ذكَّره بوقوعِها أحدٌ، أو حدَّثَتْه عنها نفسُهُ.

نوعُ (أل) في ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، ودلالتها:

(أل) في قوله: ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ لتعريف العهدِ، والمقصودُ بها: القيامةُ، الَّتي هي - لعظمها - المستحِقَّةُ أن تختَصَّ باسم ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾[1].

دلالةُ التَّعبيرِ عن القيام بصيغة اسم الفاعل:

طـــولُ أمـــلِ الإنـــســـان في الحياة ينحدرُ بهِ إلى نفي ثُبوت قيام السّاعة

قولُه تعالى: ﴿قَآئِمَةً﴾ الخبرُ الثاني لفعل الظَّنِّ، وعبَّر عنه النَّظمُ بصيغة اسم الفاعل؛ لما يفيده من الثُّبوت والدَّوام، الدّال على أنَّ الإنسانَ المخدوعَ بكثرة النِّعم ينحدر إلى نفي ثبوت قيام السّاعة، والمعنى: ما أظنُّ السّاعة ثابتًا قيامُها[2]، ولا مُحَقَّقًا وقوعُها، ما يدلُّ على "أنَّهُ شَديدُ الرَّغبَةِ في الدُّنيا عَظيمُ النُّفرَةِ عَنِ الآخِرَةِ"[3].

توجيهُ العطف بالواو:

جاء قولُه: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ معطوفًا على ما سبقه بالواو؛ لأنَّه تَتِمَّةُ الكلامِ الَّذي يقولُه الآيسُ القانطُ عندما يذيقُه اللّهُ تَعالَى بعضَ النِّعَم.

معنى اللّام في ﴿وَلَئِنْ﴾:

المغرورُ بالنِّعم يـجـزم بـأنَّ منزلتَهُ في الآخرة ستكون مثلَ منزلتِهِ في الدُّنيا

اللّام في قوله: ﴿وَلَئِنْ﴾ هي الموطِّئةُ للقسم الصادر مِنَ الإنسان الَّذي كان آيسًا قانطًا، وفي تعبيرِهِ باللام المؤكِّدة والقسم دلالةٌ على ثقته التّامَّة في حصول المُقْسَمِ عليه، ويقينِهِ البالغِ في إكرام اللّه تعالى له في الآخرة، وإنزالِهِ منزلةً مماثلةً للمنزلة التي كان عليها في الدُّنيا، وذلك بافتراض حصولِ البعثِ الَّذي ينكره وينفيه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 219.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 219.
(3) الرازي، فتوح الغيب: 27/ 752.

دلالةُ (إنْ) الشَّرطيَّة:

جيءَ في حِكايَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ﴾ بـ (إنْ) الشَّرطيَّةِ الَّتي يَغْلِبُ التَّعبيرُ بِها في الشَّرْطِ المَشكوكِ وُقوعُهُ؛ لأنَّهُ جَعَلَ رُجوعَهُ إلى اللّه أمرًا مَفروضًا ضَعيفَ الاحتِمالِ[1].

نكتةُ إيثارِ فعل الإرجاع مبنيًّا للمفعول:

عُبِّر بفعل الإرجاع مبنيًّا لِما لم يُسمَّ فاعلُهُ في قولِه: ﴿رُّجِعْتُ﴾؛ لكونه أمرًا فرَضيًّا، أي: على سبيل الفرض بِقَسْر قاسر ما[2]، وليس على سبيل التَّأكيد والجزم.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾:

﴿إِلَىٰ﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الانتهاء[3]، وفي التَّعبيرِ به دلالةٌ على أنَّ الرُّجعى والمصير يكون إلى اللّه لا إلى غيره، وأنَّ الإنسان بفطرتِهِ يعرف هذا، لكنَّ الكافرَ ينكره، ويجزم بعدم وقوعِهِ، وإذا قالَهُ؛ يقوله على سبيل الافتراض والشَّكِّ.

فطرةُ الإنسان تنطق بأنَّ الرُّجعى إلى الله لا إلى سواه

سرُّ إيثار لفظ الرُّبوبيَّة وإضافته إلى الياء:

في تعبير الإنسان عن اللّه تعالى بعنوان الرُّبوبيَّة - الدّال على الإحسان والرِّعاية، مع إضافته إلى ضمير المتكلم العائد إليه في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ - دلالةٌ على إقراره بأنَّ اللّه تعالى هو الذي أحسن إليه بالخير والنَّعيم الَّذي يرفل فيه في الدُّنيا، وأنَّه أيضًا يرى أنَّ إحسانَ اللّه إليه في الدُّنيا دليلٌ على تقديرِهِ له وعلوِّ منزلته عنده، وأنَّ منزلته في الآخرة ستكون أفضل من منزلتِهِ في الدُّنيا، إنْ كان ثَمَّ بعثٌ وحسابٌ.

المغرورُ يرى أنَّ إحسانَ الله إليه في الدُّنيا دليلٌ على عُلوِّ منزلته في الآخرة

بلاغةُ التَّأكيد:

جاء قوله: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ مؤكَّدًا بخمسة مؤكِّدات،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 12.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 219.
(3) المرادي، الجنى الداني، ص: 385.

أوَّلها: ﴿إِنَّ﴾، وثانيها: تقديم الخبر ﴿لِي﴾، وثالثها: التَّعبير بالظَّرف ﴿عِندَهُۥ﴾، والرّابع: اللام في قوله: ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾، أمّا الخامس؛ فهو كلمة: (الحُسْنَى) الدالَّة على الكمال، ووجْهُ الإكثار مِنَ المؤكِّدات هو الدَّلالةُ على أنَّ مَنْ يقولُهُ جازمٌ بوصول الثَّواب إليه، ومتأكِّد من حصوله عليه؛ إنْ بعثه الله تعالى للحساب والجزاء[1].

المغرورُ جازمٌ بوصول الثَّوابِ إليه ومتأكِّدٌ من حصولِهِ عليهِ

فائدةُ التَّعبير بشبه الجملة: ﴿لِي﴾:

قولُه: ﴿لِي﴾ جارٌّ ومجرور في محلِّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ المُقدَّم، واللام فيه هي لام الاستحقاق أو الاختصاص، وضمير المتكلِّم يعود لمَن ينكر البعث والحساب، وفي تعبيره بهما تقويةٌ للمعنى وتأكيدٌ لاعتقاده أنَّ الله سيخُصُّهُ بالحُسنى في الآخرة؛ لأنَّه يستحقُّها، ولا يستحقُّها أحدٌ غيره، كما خصَّه في الدُّنيا بنِعَمٍ لم يذُقْها أحدٌ سواه.

المغرورُ يظنُّ أنَّ اللهَ سيخصُّه بالحسنى في الآخرةِ، كما خصَّه بالنِّعم في الدُّنيا

نكتةُ التَّعبير بالظَّرف ومرجع الضَّمير فيه:

قولُه: ﴿عِندَهُۥ﴾ ظرفُ مكانٍ، والضَّمير المجرور فيه عائدٌ إلى ﴿رَبِّي﴾، وفي التَّعبير بهما تقويةٌ للمعنى وتأكيدٌ لجزم المتكلِّم بوصول الثَّواب إليه في الآخرة؛ لدلالة الظَّرف " على أنَّ تِلْكَ الخَيْراتِ حاضِرَةٌ مهيَّأةٌ لَهُ عِندَ اللهِ، كَما تَقولُ: لي عِندَ فُلانٍ كَذا مِنَ الدَّنانيرِ، فإنَّ هَذا يُفيدُ كَونَها حاضِرَةً عِندَهُ"[2].

يظنُّ المغرورُ أنَّ الخيراتِ والنِّعمَ حاضرةٌ مهيَّأةٌ له عند الله

دلالةُ التَّعبير باللام:

اللّامُ في قوله: ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾ هي المزحلقةُ الَّتي تفيد تقويةَ المعنى، وتأكيد المتكلِّم استحقاقَهُ الحسنى في الآخرة؛ قياسًا على استحقاقِهِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 753، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 316، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 219.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 753.

إحسانَ اللّهِ إليه في الدُّنيا، فهو يعتقد "أنَّ ما أصابه مِن نعيم الدُّنيا لاستحقاقِه له، وأنَّ نعيمَ الآخرةِ كذلكَ"[1].

سرُّ إيثار لفظ (الحُسنَى) معرَّفًا:

(الحُسْنَى) صِفَةٌ لِموصوفٍ مَحذوفٍ، أي: الحالَةُ الحُسنَى، أوِ: المُعامَلَةُ الحُسْنَى، والأظهَرُ أنَّ (الحُسْنَى) اسمٌ لِلإحسانِ الكَثيرِ أخْذًا مِن صيغَةِ التَّفْضيلِ[2]، وأيًّا كان موقعُها الإعرابيُّ؛ ففي تعبيره بها بصيغة اسم التَّفضيل دلالةٌ على اعتقاده وجزمه باستحقاق "الحالة والرُّتبة البالغة في الحسن حدًّا لا يوصَف؛ لأنَّه يرى نفسه أهلًا لذلك، والدَّليل على تأهُّله له ما هو فيه الآن مِنَ الخير، ونسي ما يشاهده غالبًا من أنَّ كثيرًا من النِّعم يكون للاستدراجِ، ومِن أنَّ كثيرًا من النّاس يكون في غاية النِّعمة، فيصبح، وقد أحاطت به كلُّ نقمةٍ، فهو بين أمنيتين، في الدُّنيا بقولِه هذا، وفي الآخرةِ يقول: يا ليتني كنتُ ترابًا"[3].

المغرورُ بالنِّعم يجزم باستحقاقِه الحسنى في الآخرة؛ لأنَّه يرى نفسه أهلًا لها

معنى الفاء في ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ تدلُّ على تسبُّب ما بعدها عمّا قبلها، ما يعني: أنَّ شكَّ ذلك المغرور في وقوع الحساب وحصول العقاب الذي أخبر به جميعُ الأنبياء والمرسلين تَسَبَّبَ عنه قولُه: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾[4]، ويُمكن أن تكونَ لتفريع ما بعدها على جُمْلَةِ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾، وما اتَّصَلَ بها، أي: فلَنُعلِمَنَّهُم بما عَمِلوا عَلَنًا يَعلَمونَ بِهِ أنّا لا يَخْفَى عَلَينا شَيءٌ مِمّا عَمِلوهُ وتَقْريعًا لَهُم[5].

سيعلمُ الكفّارُ يوم القيامة أنَّ الله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ ممّا يعملون

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 18، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 5، والزمخشري، الكشاف: 4/ 205.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 12.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 219.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 219.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 12.

معنى اللام في: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾:

اللّام في: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ هي الموطِّئة للقسم، الدالِّ على تأكيدِ إحاطة الله بما يعمَلُه النّاسُ بصفة عامَّة، والكافرون بصفة خاصَّة، وتقويةِ أنَّ الله سيخبرهم به في الآخرة؛ "ليظهر لهم أنَّهم مستحقّون للإهانة، لا الكرامة، كما توهَّموا[1]، وفيه أيضًا تحذيرٌ للكُفّار مِنَ الاغترارِ بِنِعَم الله، وذلك دليل الاستحقاق والمحبَّة؛ لأنَّ الإنعامَ في الدُّنيا ليس دليلًا على الرِّضا، والحرمانَ فيها ليس دليلًا على الغضب.

الإنعامُ في الدُّنيا ليس دليلًا على رِضا الله، والحرمانُ فيها ليس دليلَ غضبِه

دلالةُ التَّعبير بفعل الإنباء مضارعًا مسندًا إلى ضمير العظمة:

عبَّر النَّظمُ عن الإخبار بفعل الإنباء، الموضوع للخبر ذي الفائدة العظيمة في قوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾؛ للدَّلالة على أنَّها ستكون "تنبئةً عظيمةً بخير الوصف فيها، مستقصاةً على سبيل العدل"[2]، وأوثِرَ التَّعبيرُ عنه بصيغة المضارع لوقوعِهِ في المستقبل، وأُسنِد إلى ضمير العظمة؛ لتأكيد حصولِهِ يومَ القيامة من غير شكٍّ أو ريبٍ.

الإنباءُ في الآخرة سيكون إنباءً عظيمًا يستقصي كلَّ الأعمال على سبيل العدلِ

بلاغةُ توكيد فعل الإنباء باللّام والنّون:

جاء فعلُ الإنباء مؤكَّدًا بلام القسم في أوَّلِه، ونون التَّوكيد الثَّقيلة في آخره؛ لتأكيد إخبار الكافرين بكلِّ ما عملوا، وجميع ما اقترفوا من شركٍ بالله، وإنكارٍ للبعث، وكفرٍ بالنِّعم، وعدِّها دليلًا على الرِّضا، واتِّخاذها سببًا للاستمرار في التَّكذيب والكفر، وغير ذلك ممّا يُقصد منه التَّقريعُ والتَّأنيبُ.

سيتمُّ إخبار الكافرين أنَّهم اتَّخذوا النِّعم سببًا للاستمرار في التَّكذيب والكفر

علَّةُ التَّعبير بالموصول وصلته:

كان مُقتَضَى الظاهر أن يُعَبَّر بالضَّمير، فيُقال: (فَلَنُنَبِّئَنَّهُم بِما عَمِلوا)، ولكنَّ النَّظم عَدَلَ إلى التَّعْبيرِ بِالمَوصولِ وصِلَتِهِ،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 5.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 220.

الكفرُ بالله تعالى هو السَّبب الرَّئيس في إذاقة الكافرين العذابَ يوم القيامة

فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لما تُؤْذِنُ بِهِ الصِّلَةُ مِن عِلَّةِ استِحقاقِهِمُ إذاقَةَ العَذابِ[1]، ما يعني: أنَّه وضع اسم الموصولِ موضعَ الضَّمير؛ تصريحًا بالعموم، وبيانًا لعلَّةِ الكفرِ الموجِبةِ إذاقتَهم العذابَ[2].

سرُّ التَّعبيرِ بفعل الكفر ماضيًا مسندًا إلى ضمير الجماعة:

عبَّر النَّظمُ بفعلِ الكفر ماضيًا مُسنَدًا إلى ضمير الجماعة في قوله: ﴿كَفَرُواْ﴾؛ للدَّلالة على ضلاعتهم في أعمال الشِّرك، واجتماعهم عليها، ودعوتهم الآخرين إليها.

معنى الباء في ﴿بِمَا﴾:

الباء في قوله: ﴿بِمَا﴾ حرف جرٍّ يفيد الإلصاق أو التَّعدية، وهي تدلُّ على أنَّ الإنباءَ سيشمل كلَّ الأعمال الَّتي عُرِف عن الكافرين القيامُ بها، وأخذها النّاسُ عنهم.

(ما) وما بعدها بين الموصوليَّة والمصدريَّة:

سيرى الكافرون عيانًا في الآخرة ضدَّ ما ظَنّوه في الدُّنيا

(ما) في قوله: ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ يمكن أن تكونَ موصولةً، والمعنى: بالَّذي عملوا، ويمكن أن تكون مصدريَّة، والمعنى: بعملهم، وسواء أكانت موصولةً أم مصدريَّةً ففي التَّعبير بها مع الفعل الماضي المسند إلى ضمير الجماعة: ﴿عَمِلُواْ﴾ دلالةٌ على أنَّ الله تعالى لن يدعَ من عملهم قليلًا ولا كثيرًا، صغيرًا ولا كبيرًا، إلّا أخبرهم به، وأنَّهم سيرون عيانًا ضِدَّ ما ظنّوه في الدُّنيا مِن أنَّ لهم الحسنى[3].

توجيهُ العطف بالواو:

سيجمع اللهُ على الكافرين ألَمَ التَّقريع والتَّأنيب وألَمَ العذابِ الغليظ

جاء قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ معطوفًا على: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ بالواو الَّتي تفيد المشاركة؛ للدَّلالة على أنَّ الأمر لن يتوقَّفَ على مجرَّد إخبار الكافرين بأعمالهم، وإنَّما سيذيقهم اللّهُ تعالى العذابَ الغليظَ؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 12.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 220.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 220.

عقابًا لهم على فعلِها، فيجتمع بذلك عليهم الألمُ النَّفسيُّ المتمثِّلُ في التَّقريع والتَّأنيب، والألمُ الحسّيُّ المتمثِّلُ في العذاب الغليظ.

معنى اللام في ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾:

اللّام في: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ هي لام التَّوكيد الدالَّة على عدم الشَّكِّ أو الرَّيب في أنَّ الله تعالى سيذيق الكافرين العذابَ الغليظَ في الآخرة؛ جزاء كفرهم به، وإشراكِهم معه، وعقابًا لاغترارهم بما أنعَمَ عليهم، وفضَّلهم به على غيرهم.

لا شكَّ في إذاقة الكافرين العذابَ الغليظَ على أعمالهم

دلالةُ التَّعبير بفعل الإذاقة مضارعًا:

عبَّر النَّظمُ بفعل الإذاقة مضارعًا مسندًا إلى ضمير المتكلِّم المعظم نفسه، في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾؛ لكونِ هذه الإذاقةِ ستحصل في المستقبل بعد أن تقومَ قيامة الكافرين، وبعد "إقامة الحجَّة عليهم بموازين القسط الوافية لمثاقيل الذَّرِّ"[1].

سيذوقُ الكفّار العذابَ الغليظَ بعد إقامة الحجَّة بموازين القسط الوافية لمثاقيل الذَّرِّ

بلاغةُ المجاز في لفظ الإذاقة:

في التَّعبير بفعل الإذاقةِ استعارةٌ تصريحيَّةٌ، شُبِّهت فيها الإصابةُ بالإذاقة، بجامع الإحساس بالشَّيء، ثم حُذِفَ المشبَّه بعد تناسي التَّشبيهِ، واشتُقَّ منه (نُذيقُ) بمعنى: نُصيب، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، الَّتي تقصد إلى إطماع الكافرين في "أنَّها إصابَةٌ خَفيفَةٌ، كَإصابَةِ الذَّوقِ بِاللِّسانِ، وهَذا تَجريدٌ لِلمَجازِ، كَما أنَّ وصْفَهُ بِالـ ﴿غَلِيظِ﴾ تَجْريدٌ ثانٍ، فحَصَلَ مِن ذَلِكَ ابتِداءٌ مُطْمِعٌ وانتهاء مؤيس"[2].

ابتداءٌ مُطمِعٌ وانتهاءٌ مُؤيسٌ

بلاغةُ توكيدِ فعل الإذاقة باللام والنون:

جاء فعلُ الإذاقة مؤكَّدًا باللام في أوَّلِه، ونون التَّوكيد الثَّقيلة في آخره، فقيل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾؛ تأكيدًا وتقويةً لإذاقة الكافرين العذابَ

إذاقةُ الكافرين العذابَ الغليظَ أمرٌ مؤكَّدٌ لا شكَّ فيه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 220.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 13.

الغليظَ؛ جزاءً لما عملوا، وعقابًا لما اقترفوا من الشِّرك بالله، وإنكار البعث، والكفر بالنِّعم، وعدِّ اختصاصهم بها دليلًا على الرِّضا، واتِّخاذها سببًا للاستمرار في المعاصي، وغير ذلك ممّا يُعَدُّ تنبيهًا لهم، وتهديدًا وتحذيرًا من البقاء على ماهم فيه.

دلالةُ التَّعبير بالضَّمير: (هُمْ):

ضميرُ الغائب: (هُمْ) في جملة: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ يعودُ إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، عبَّر به النَّظمُ الكريم؛ جريًا على الأصل في التَّعبير عن الاسم الذي سبق ذكره قريبًا بالضَّمير، ولما يفيده التَّعبير به هنا من تأكيد تعذيبِ الكافرين العذابَ الغليظ تأكيدًا يحول دون صرف الحديث عنهم إلى غيرهم، والمعنى: لنذيقنَّ الذين كفروا مِن عذابٍ غليظ.

معنى ﴿مِّنْ﴾:

﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ هي البيانيَّة الَّتي تؤكِّد أنَّ الله سوف يُذيقُ الكفّار العذابَ الغليظ جزاءً للأعمال الَّتي ارتكبوها والنِّعم الَّتي جحدوها، ليبصروا "عكس ما اعتقدوا فيها، من أنَّهم يستوجبون عليها كرامةً وقربى عند الله"[1].

سيبصرُ المغرورون في الآخرةِ عكس ما اعتقدوا فيه كرامةً وقربى عند الله

سرُّ تنكيرِ لفظ ﴿عَذَابٍ﴾:

جيءَ بالاسم المجرور: ﴿عَذَابٍ﴾ نكرةً منوَّنًا؛ لما يفيده التَّنكير من التَّعظيم والتَّهويل الدالِّ على أنَّه عذابٌ لا يُقادر قدرُه، ولا يُبْلَغ كنهُه[2]، ولا تفي العبارةُ بحقيقتهِ، ولتذهب النُّفوس فيه كلَّ مذهب، وترتدع عمّا هي فيه من غيٍّ وضلالٍ.

عذابُ الكافرين لا يُقادر قدرُه، ولا تفي العبارةُ بحقيقتِه

نكتةُ وصف العذاب بالغليظ:

وصف البيانُ الكريم الـ ﴿عَذَابٍ﴾ بـ ﴿غَلِيظٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه مِنَ الشِّدَّة والقوَّة

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 205.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 18.

بحيث "لا يدع جهة من أجسامهم ولا قواهم إلّا أحاط بها، ولا تقوى على دفعه قواهم"[1]، كما أنَّه لا يمكنهم التَّفصّي، أي: التَّخلُّص عنه، والنَّجاة منه[2].

عذابُ الكافرين من الشِّدَّة والقوَّة بحيث لا يمكنهم التَّخلُّص عنه والنَّجاة منه

بلاغةُ الاستعارة في وصف العذاب:

في التَّعبيرِ عن صفة العذاب بـ ﴿غَلِيظٍ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ، شُبِّه فيها شِدَّةُ العذابِ وقسوتُه بالوثاق الغليظ في الإحاطة والإحكام وعدم القدرة على التَّخلُّص منه، أو الفكاك عنه، ثم استُعير الغِلَظُ للشدَّة والقسوة على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة[3]، التي تُبرز فظاعةَ عذابِ الكافرين وما فيه من إهانةٍ بالغةٍ على الأعمال التي ظنّوا أنَّها سببُ عزِّهم وكرامتِهم؛ إن رجعوا إلى اللّه.

تشبيهُ شدَّة العذابِ وقسوته بالوثاق الغليظِ في الإحاطة والإحكام

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 220.
(2) الشهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 404.
(3) الشهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 404، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 5.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"